

أخبار العصر

في انقضاء دولة بني نصر

أعني آخر دول الاسلام في الاندلس وهو تكملة لكتاب

مختصر تاريخ الاندلس

أو ذيل الذيل لرواية

آخر بني سراج

(تنبيه) طبع عن النسخة الوحيدة المطبوعة في أوربة ولم يعرف اسم مؤلفه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدىء المعيد، المنشىء المبيد، الفعال لما يريد، الذي جرت أحكامه بمشيئته السابقة في جميع العبيد، من اعزاز واذلال، وإدبار واقبال، واكثار وإقلال، وهداية واضلال «كل ميسر لما خلق له» وجار على ما كتب له، سبحانه وتعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) نحمده سبحانه وتعالى على كل حال، ونشكره على جميع نعمه التي لا تحصي شكراً كثيرا دائما لا ينقطع بانقطاع الايام والليال ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له المنفرد بالعزة والجلال ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله خاتم النبيين والارسال (١) صلى الله عليه وعلى آله والصحب والآل (٢) صلاة دائمة لا نفاد لها ولا زوال

﴿ اما بعد ﴾ فهذا كتاب اذكر فيه نبذة من بعض تاريخ ما وقع في مدة الامير أبي الحسن علي بن نصر بن سعد بن السلطان ابي عبد الله محمد ابن السلطان ابى الحسن بن الملوك النصريين ومدة ابنه محمد وأخيه محمد ايضا رحمهما الله، وكيف استولى العدو على جميع الاندلس في تلك المدة،

«١» لانعلم الارسال تأتي جمعا لرسول وانما يجمع رسول على رسل وارسل ورسلاء ويمكن ان تكون بالكسر مصدراً لارسل اي ارسال الرسل وأن تكون جمعا لرسل محركة وهي الجماعة من كل شيء وأصلها القطيع من الابل والغنم يرسل الى المرعى ثم عمموه في الاستعمال ففيه معنى الرسالة والارسال وفي الاساس : وجهت رسلي ارسالا متتابعة : رسلا بعد رسل

«٢» لعل كلمة آله كانت سبق قلم لانها هي التي يسبق اليها الذهن لكثرة استعمالها فلما كتب الآل لاجل السجع لم يفطن لها فيرمجها

وعولت في ذلك على الاختصار والاقتصار ، وتركت التطويل والاكثار ، لان باعي في التأليف قصير ، وبضاعتي في الفصاحة مزجاة ، وسميته بكتاب (أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر) والله الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل ،

قال المؤرخ عفا الله عنه لما استقام ملك الاندلس للامير ابى الحسن علي بن سعد ودانت له جميع الاندلس ولم يبق له معاند وذلك بعد خطوب واحداث وكوائن جرت له مع أبيه ومع قواده بعد موت ابيه فى أخبار وكوائن يطول ذكرها وذلك أنه كان محجورا للقواد لم يكن له من الملك الا اسمه فاراد أن يقوم بنفسه ويزيل عنها الحجر فانفرد بنفسه عن قواده وانفرد معه بعضهم ووقعت بينهم حروب واحداث ، وذلك أن قواده لما اعتزل عنهم أخذوا أخاه محمد بن سعد وكان اصغر منه سنًا فبايعوه واشتعلت نار الفتنة بينهم فاظهر الامير أبو الحسن التوبة للناس ووعدهم ان قاموا بدعوته أن يصلح شأنهم وأن يظهر الاحكام وأن ينظر فى مصالح الوطن ويقيم الشريعة ، فمالت اليه الرعية وأعانوه على مناواة من مراده وغيرهم ، الى أن أظفره الله بهم ، وذلك بعد حروب كثيرة وقعت بينهم وذلك ان أخاه محمداً نفلت من أيدى القواد الذين بايعوه وسار الى أخيه ابي الحسن واجتمع القواد كلهم في مدينة مالقة فحاصرهم فيها حتى أطاعوه فاخذهم وقتلهم كلهم وانقرضت الفتنة وخمدت نارها ودانت له جميع الاندلس ولم يبق له فيها معاند ، وهو مع ذلك يغزو بلاد الروم المرة بعد المرة حتى غزا غزوات كثيرة وأظهر الاحكام ونظر فى مصالح الحصون ونمى الجيش فهابته النصارى وصالحته براً وبحراً وكثر الخير وانبسطت الارزاق

ورخصت الاسعار وانتشر الامن في جميع الاندلس وشملتهم العافية في تلك المدة وضرب سكة جديدة طيبة

ثم أنه أراد أن يميز (١) الجيش وأن يظهر للناس ما معه من الفرسان ليزيدهم في المغارم فهيأ موضع الميز بمدينة الحمراء من غرناطة بالموضع المعروف بالطبلة عند باب العد« فبني مكاناً لجلوسه وأصلح الطاريق والرحبة لمجال الخيل وندب الفرسان

ثم ابتدأ يوم الثلاثاء التاسع عشر لذي حجة عام اثنين وثمانين وثمانمائة فكان أهل غرناطة يخرجون كل يوم الرجال والنساء والصبيان للسبيكة وما حول الحمراء يتنزهون وأقبلت فرسان الاندلس بأجمعهم من شرقيتها وغربيتها فكان يميز كل يوم عليه طائفة منهم الي يوم الثاني والعشرين بمحرم فاتح عام ثلاثة وثمانين وثمانمائة بموافقة السادس والعشرين لشهر ابريل العجمي فكان من قضاء الله عز وجل وقدره في ذلك اليوم المهرجان الكبير والنزهة العظمى، واحتفلت الناس وخرج جل أهل البلد من رجال ونساء وصبيان وشيوخ وكهول وجاء كثير من أهل القرى من حوز غرناطة للنزهة فاجتمعوا في السبيكة من الحمراء وما حولها وامتلأت تلك المواضع من خلق كثير واقبلت الفرسان وساروا يتألفون في السبيكة وذلك في وقت الضحى فبينما الناس كذلك وإذا بسحابة عظيمة قد انشأها الله في السماء فارعدت وابرقت وانتشرت من ساعتها بقدرة مكون الاشياء على السبيكة وما قرب منها وعلى غرناطة وماحولها وعلى وادي هدارة وجاءت بمطر عظيم ولم يزل المطر يزداد ويعظم ويكثر حتى صار كالانهار العظام وجاءت

«١» اراد يميز الجيش عرض الجيش

السيول من كل ناحية وعظم ارهاره وعاين الناس الهلاك من عظم ما رأوا من شدة المطر وكثرة السيول واحتمل السيل الطرق واحوالها وانقطع الناس وحال السيل بينهم وبينه فلا تسمع إلا بكاء الصبيان وضجيج النسوان وأصوات الرجال بالدعاء الى الله تعالى والابتهال إلى أن ارتفع المطر وجاء في وادي هدّاره الذي يشق غرناطة سيل عظيم احتمل ما على شفتيه من الاشجار العظام من الميس والدردار والجوز واللوز وغير ذلك من الشجر العظام الثابتة في الارض ودخل البلد واحتمل ما على ضفتيه من الدور والحوانيت والمساجد والفنادق ودخل الاسواق وهدم البناء المشيد ولم يبق من القناطير الا الاقواس وذهب ما كان عليها من البنيان وجاء السيل بتلك الاشجار العظام التي اقتلع فتراكمت في البلد في آخر قنطرة منه فسدت مجاري الوادي فتراكم السيل والشجر في قلب البلد وعاين أهل البلد الهلاك ودخل السيل تيارة القيسارية حتى دخل بعض حوانيتها ووصل الى رحبة الجامع الاعظم والى القراقير والساقة والكدادين وغير ذلك من الاسواق والدور فلطف الله تعالى بالبلد واهله فدفع السيل بقوة تراكمه بالقنطرة والسور وخرج ذلك كله خارج البلد وكان هذا اليوم من أعظم الايام شاهد فيه كل من رآه قدرة القاهر فوق الملك العلام سبحانه وتعالى ولم يسمع المعمرون بمثله

(قال المؤرخ عفا الله عنه) ومن وقت هذا السيل العظيم بدأ ملك الامير أبي الحسن علي في الانتكاس والانتقاص وذلك انه اشتغل باللذات والانهماك بالنساء والمطربات وركن الى الراحة والشهوات وضيع الجند وأسقط كثيراً من نجدة الفرسان وثقل المغارم ومكس الاسواق ونهب

الاموال وشح بالعطاء الى غير ذلك من الامور التي لا يثبت معها الملك.
وكان له وزير يوافقه على ذلك ويظهر للناس الصلاح والعفة وهو بعكس ذلك وكان الامير أبو الحسن علي المذكور متزوجا ابنة عمه الامير الايسر وكان له منها ولدان محمد ويوسف فمن جملة انهماكه انه اصطفى عليها رومية اسمها ثريا وهجر ابنة عمه واولادها منه فادرك ابنة عمه من الغيرة ما يدرك النساء على أزواجهن ووقع بينهما نزاع كثير ومال الاولاد محمد ويوسف مع امهم وغلظت العداوة بينهم. وكان الامير أبو الحسن شديد الغضب والسطوة فكانت الام تخاف على أولادها منه فبقوا كذلك مدة وهو مشتغل بلذاته منهمك في شهواته ووزيره يضبط المغارم ويثقلها، ويجمع الاموال ويأتيه بها، ويعطيها من لا يستحقها ويمنعها مستحقها، ويهمل كل من فيه نجدة وشجاعة من الفرسان، وقطع عنهم المعروف والاحسان، حتى باعوا ثيابهم وخيلهم وآلات حربهم وأكلوا ثمنها، وقتل كثيرا من أهل التدبير والرأي والرؤساء والشجعان من أهل مدن الاندلس وحصونها

فلم يزل مستمرا على حاله والجيش في نقص والملك في ضعف، الى أن انقضى الصلح الذي بينه وبين النصارى فلم يشعر أحد حتى دخلوا مدينة الحمة وذلك انهم طرقوها ليلا على حين غفلة من أهلها فدخلوا قصبتها وكانت خالية فلم يكن بها الا عيل قائدها فملكوا القصبة والناس نيام مطمئنون فلم يشعر أحد الا والنصارى قد هبطوا من القصبة على البلد بالسيف والقتل والسبي الشديد حتى قتل من نفذ أجله وهرب وفر من قدر على الفرار واستولى النصارى على البلد وجميع ما كان فيه من الرجال والنساء والصبيان والاموال وكان ذلك في التاسع من شهر المحرم عام سبعة

وثمانين وثمانمائة فبلغ أهل غرناطة ما فعلت النصارى باخوانهم المسلمين فاجت الرعية وقالوا لا صبر لنا على عيش بعد هذه المصيبة العظمى إما أن نفك اخواننا أو نموت دونهم، فاجتمعوا مع الامير أبي الحسن ووزيره فجعل الامير والوزير يعجزانهم عن المسير ويتربصان ويقولان نأخذ أهبتنا ونعمل على حال الحرب فلم تزل بهما العامة حتى أخرجوهما فتقدم صدر الجيش فوجدوا النصاري قد أخرجوا من البلد ما سبوا من الرجال والنساء والصبيان والاموال وهم قد أوقروا الدواب بذلك وهم عازمون على المسير إلى بلادهم فلما رأوا خيل المسلمين قد أقبلت عليهم حطوا الاحمال ودخلوا البلد وتحصنوا بالاسوار ثم أقبل المسلمون بمحلتهم وقربوا منهم فقاتلوهم قتالا شديداً بجد وعزم وقلوب محترقة حتى دخلوا بعض الابواب من البلد وكسروه وحرقوه وتعلقوا بالاسوار وطمعوا في الدخول اليه فبينما هم كذلك اذا بالامر من الامير أبي الحسن والوزير بالرجوع عن القتال فأبى الناس عن الرجوع (١) فقالا لهم اذا كان غداً ندخل عليهم أول النهار لان الليل قد دخل علينا فترك الناس القتال ورجعوا الى محلتهم وبات النصارى يصلحون شأنهم ويعمون أسوارهم ويغلقون نقابهم (٢) فلما أصبح نظر المسلمون الى البلد فاذا هو على صفة اخرى من المنعة والتحصين والاستعداد فصعب عند ذلك على المسلمين الدخول والدنو منه

ثم انهم عزموا على حصاره والاقامة عليه واقبلت وفود المسلمين من

---

(١) أبى يتعدى بنفسه وقد عداه بعن بتضمينه معنى امتنع

«٢» النقب هو الثقب والجمع انقاب ونقاب

كل أرض الاندلس واجتمع على ذلك البلد محلة عظيمة وفتحوا الاسواق للبيع والشراء وجلبوا لأسواقهم كل ما يحتاجون اليه من الاطعمة والعلف والزاد وغير ذلك وحاصروهم حصاراً شديداً ومنعوا لهم الماء والحطب والداخل والخارج والعامة بعزم وجدوا اجتهاد بنية صادقة وقلوب محترقة والوزير يعد الناس بالدخول والقتال وعداً بعد وعد ويقول عن قريب نأخذهم عطشا وها نحن نعمل الحيلة في الدخول عليهم، والتقصير والتفريط والغش يبدو منه شيئا بعد شيء، حتى تبين لعامة الناس وخاصتهم ولاح لهم كالشمس وظنوا بهم ظنون السوء وكثر الكلام القبيح بينهم فعند ذلك هاج شيطان الفتنة بينهم وتحدث الناس بعضهم مع بعض في مسائل غشهما المسلمين

فبينما الناس كذلك في إساءة ظنهم بأميرهم ووزيره فاذا بهما استعملا حيلة وكتبا مزورة أنهما عن بعض من ندحهما من ناحية المسلمين المجاورين بلاد النصارى دمرهم الله يعلمهما أن الطاغية ملك النصارى جمع جمعا عظيما وحشد حشوداً كثيرة وعزم على نصرة أصحابه المحصورين في بلد الحامة وهو قادم عن قريب ولا طاقة لكما بلاقاته فحين أعلمهم الوزير بما ذكر وخوفهم سقط في أيدي الناس وأمرهم بالرحيل والاقلاع عن دار الحرب فرحل الناس كرها باكين متأسفين بحسرة وندامة وبغمة يالها من حسرة، وانصرف كل واحد الى وطنه ثم انهم أقاموا بعد ذلك أشهراً قلائل وأمر الامير ابو الحسن بالمسير الى بلد الحمة مرة ثانية فسار الناس اليها، وأقبلوا من كل أرض بالاندلس ونزلوها بمحلتهم مرة ثانية وحاصروها فلم يقدروا على شيء فانصرفوا عنها وتركوها

فلما رأى العدو دمره الله ان المسلمين قد عجزوا عن أخذ الحمة ونصرة من فيها من الاسارى وقع له الطمع في بلاد الاندلس فأخذ في الاستعداد والخروج اليها فلما كان شهر جمادى الاولى من عام التاريخ المذكور قبل هذا خرج صاحب قشتالة بمحلة عظيمة وقصد مدينة لوشة فنزل عليها بمحلته وكان قد اجتمع فيها جملة من نجدة رجال غرناطيين سمعوا بخروجه اليها فلما قرب من البلد خرج اليه الرجال والفرسان فقاتلوه قتالا شديداً وردوه على عقبه وقتلوا كثيراً من النصارى وأخذوا لهم من تلك المدة التي قربوا بها انقاطاً وغير ذلك من عدة الحرب ثم ان الامير أبا الحسن أمدهم بقائد من غرناطة يقود جيشا من الفرسان في تلك الليلة فاشتد عند ذلك عصبة المسلمين وقويت قلوبهم فلما أصبح ورأى النصارى الزيادة في المسلمين مع ما نالهم في أول الليل من الهزيمة والقتل وأخذ المدة داخلهم الرعب واشتد خوفهم وأخذوا في الارتحال عنهم، فخرج اليهم المسلمون فقاتلوهم قتالا شديدا فانهزم النصارى وتركوا كثيراً من أخبيتهم وأمتعتهم واطعمتهم وآلة حربهم وتركوا من الدقيق شيئا كثيراً فاحتوى المسلمون على ذلك كله وانصرف العدو مفلولا مهزوما الى بلده وكان ذلك في السابع والعشرين لجمادى الاولى عام سبعة وثمانين وثمانمائة

وفي هذا اليوم بلغ الخبر لمن كان في لوشة ان ابني الامير أبي الحسن محمد ويوسف هربا من القصبة خوفاً من أبيهما وذلك أن شياطين الانس صاروا يوسوسون لامهما ويخوفونها عليهما من سطوة أبيهما ويغوونها مع ما كان بينها وبين مملوكة أبيهما الرومية ثريا من الشحناء فلم يزالوا يغوونها حتى سمحت لهم بهما فاحتالت عليهما بالليل وأخرجتهما اليهم وساروا بهما

الى وادي آش فقام اهل وادي آش بدعوتها ثم قامت غرناطة أيضا بدعوتها واشتعلت نار الفتنة ببلاد الاندلس ووقعت بينهم حرب وكوائن اعرضنا عن ذكرها لقبحها لان الامر آل بينهم الى ان قتل الوالد ولده

ولم تزل نار الفتنة مشتعلة وعلاماتها قائمة في بلاد الاندلس والعدو دمره الله مع ذلك مشتغل بحيله في أخذ الاندلس الى أن ساعده الزمان ووافقته الاقدار ، فلما كان شهر صفر عام ثمانية وثمانين وثمانمائة اجتمع من زعماء النصارى واقنادهم (١) جمع عظيم ولم يكن معهم ملكهم وقصدوا قرى بلش وشرقية مالقة يريدن أخذ أهلها وفسادها فلما وصلوا تصالح أهل تلك الجهات واجتمعوا دون فرسان وصاروا يعرضون للنصارى في المضايق والخانق والاوعار ويقاتلونهم فيها حتى قتلوا منهم خلقا كثيرا فلما رأى النصارى ذلك جعل الله الرعب في قلوبهم ووقع فيهم الخذلان فانهزموا في تلك القرى والخانق والاوعار وصاروا يتهافتون فيها تهافت الذبان والمسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ولم تغن عنهم كثرتهم ولا عدتهم شيئا باذن الله ، وكان في وقت هذه الكائنة الامير محمد بن سعد بمدينة مالقة فلقيهم فقتل وأسر منهم خلقا كثيرا وولوا مدبرين ، وأسر منهم ما ينيف على ألفي اسير فيهم جماعة من قوادهم واقنادهم ، وهرب باقيهم وتركوا خيلهم ودوابهم ورجالهم وامتعتهم فاحتوى على ذلك كله المسلمون

(١) العرب في ايام الحرب الصليبية وحروب الاندلس حصلت لهم اللغة بألفاظ افرنجية عربوها على هوى نطقهم من جملتها لفظة كونت وهو من القاب الشرف عند الافرنج دون البرنس فنطق بها العرب كند بضم الكاف وسكون النون وقند بالقاف وجمعوها على أقناد كما ترى

وحملوه الى مدينة مالقة لجمعوه بها على أن يقسموه على كل من حضر الوقيعة (١) المذكورة فحصل كله بايدي الظلمة فلم يظهروا فيه حقا لاحد ممن حضر الوقيعة المذكورة فلم ينتج لهم منه شيء وكان عليهم وبالا ، وكانت هذه الكائنة فى الحادي عشر لصفر عام التاريخ المذكور قبل هذا

وفى شهر ربيع الاول من عام التاريخ خرج الامير أبو عبدالله محمد ابن على بأهل غرناطة ومن حولها من الحصون والقرى الى بلاد الروم فبينما هم في أرض اللسّانة راجعون بالغنيمة إذ خرج عليهم جمع من النصارى ليس بالكثير فانهزم المسلمون أمامهم واتبعهم النصارى يقتلونهم ويأسرونهم حتى لحقوا الامير محمدا فدخل فى غمار الناس واختفى بينهم وجعل يقاتل مع المقاتلين حتي أسر مع من أسر من المسلمين ولم يعرفه النصارى وكانت هزيمة شنيعة قتل فيها ناس كثير وأسر آخرون واستولى النصارى فيها على كثير من الخيل والسلاح والدواب والمتاع ، وأشنع ما كان فيها أسر الامير أبي عبد الله محمد لانه كان سببا هلاك الوطن فجمع النصارى كل ما أخذوا للمسلمين من أسارى وأمتعة وحملوه الى حصن اللسانة ولم يعرفوا الامير حتى عرفوا به فاخرجوه من بين الاسرى وعظموه وأكرموه وحملوه إلى حصن اللسانة الى صاحب قشتالة فعظمه واكرمه وعلم أن به يصل الى ما يؤمله من اخذ بلاد الاندلس ، ثم عاد ملك غرناطة إلى الامير ابي الحسن على بن سعد وإلا فان الفتنة لم تنقطع ولم تخمد نارها وكان الامير ابو الحسن قد اصابه مرض شبه الصرع وأصيب فى بصره وأصابه خدر في جسده وعاقبه الله بانواع من البلاء

(١) الوقيعة مثل الواقعة

وعزل عن الملك رحل إلى مدينة المنكب فاقام فيها حتى مات واستولى على الملك بعده أخوه محمد بن سعد ومع ذلك قد استطال العدو على الاندلس وقوي طمعه فيها

فلما كان شهر ربيع الآخر من عام تسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلة الى غربية الاندلس فقصد حصن قرطمة وحصن دكوين فقاتلهما حتى استولى عليهما، وفي السنة التي كانت قبل هذه كان ايضاً استولى على حصن المره وحصن الشيطنين ، وفي العشر الاول من جمادى الاولى عام التاريخ المذكور قبل هذا خرج العدو أيضا فقصد مدينة رندة فقاتلها قتالا شديداً وقرب اليها عدته وانفاطه حتى هدم بعض اسوارها فلما رأوا مالاطاقة لهم به طلبوا الامان وخرجوا مؤمنين (١) بأهلهم فلما استولى العدو على مدينة رندة دخلت تلك الجهات كلها في ذمته غير قتال من

وفي التاسع عشر من شهر شعبان عام التاريخ المذكور قبل خروج الامير محمد بن سعد (٢) باهل غرناطة إلى حصن السكاين لبناء بعض سوره لانه بلغه أن العدو خارج اليه فخرج بجيشه وعامة أهل غرناطة ليصلحوا من شأنه ماتهدم فبينما هم في الحصن بلغهم أن العدو خارج يريد الحصن وهو متوجه نحوه وظهر آخر النهار للمسلمين غبار محلة النصارى

---

(١) بفتح الميم مع شدها من التأمين

(٢) هو الملقب بالزغل محركة ومعناه بلغة عامة الاندلس الصغير ولا يأتي الزغل بمعنى الصغير فيما أعرف وانما أخذوه فيما يظهر من زغل الصبي امه رضعها وهو فصيح وأزغلت الام ولدها أرضعته وازغل الطائر فرخه زقه والزغلول أيضا بمعنى للطفل هو من هذه المادة ويجوز أن يكون اصل الزغل الزاغل اسم فاعل أو الزغل بكسر وسطه للمبالغة

فى أرض القلعة فلم يلتفت الامير ولا وزيره لذلك ولم يعملوا حساب الحرب ولم يجعلوا بياتهم على البعد فباتوا تلك الليلة مطمئنين وهي الليلة الثانية والعشرين لشعبان فلم يشعر أحد من المسلمين الا والنصارى قد اختلطوا معهم عند الفجر وكذلك النصارى لم يشعروا بالمسلمين حتي اختلطوا معهم وانما أدلجوا ليصبحوا على الحصن فلما التقي الجمعان أعلنت الاصوات بالصياح والضجيج وضربت النصاري أطبالهم والبوقات ونصبوا الانفاط ووقع القتال بين الفريقين واشتد القتال حتى وصل النصاري إلي مضرب الامير وارادوا أخذه فثبت الله تعالى المسلمين وصبروا صبراً جميلا ووقعوا على مضرب أميرهم محتسبين لله تعالى فلم تكن الاهنيهة حتى هزمت النصارى وولوا الادبار وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤا حتى قتلوا منهم خلقاً كثيراً ثم قصروا في الطلب مخافة أن يدركهم جيش العدو لانهم كانوا مقبلين نحو المكلين يريدون قتاله وأخذه وكان ذلك صدر المحلة قد اقبل بالعدة والانفاط والبارود والقوس وغير ذلك فاحتوى المسلمون على جميع ذلك وارتحلوا بقية يومهم راجعين الى غرناطة فرحين بنصر الله تعالى حامدين شاكرين فدخلوا غرناطة بقية النهار وكانت هذه الغزوة من الغزوات المشهورات ﴿ قال المؤلف عفا الله عنه ﴾ فلقد حدثني بعض الفرسان النجباء من أهل الشجاعة والاقدام في ذلك اليوم ونحن فى الطريق راجعون الى غرناطة قال كنت فى أول الفرسان ونحن نتبع النصارى فكنت استبق الى بعض المواضع فاجد النصارى مقتولين ولم نر احداً سبقني ولا ندري من قتلهم فلما خيب الله سعد العدو وكسر حدته عدل عن المسير الى حصن المكلين فاقام الى شهر رمضان من العام

المذكور وتوجه بمحلة نحو حصن قنبيل فنزل عليه بمحلته ونصب انفاطه وقاتله قتالا شديداً حتى هدم بعض اسواره فلما رأى المسلمون مالا طاقة لهم به خافوا أن يدخل عليهم عنوة فطلبوا منه الامان فخرجوا مؤمنين بما كان معهم وأعطوه الحصن فلما استولى العدو على الحصن المذكور أخلى المسلمون حصن ارنية وحصن مناقر وحصن اللوز وصارت كلها للنصارى

وفي هذا الشهر ايضا استولى العدو على حصن صالحة من حصون باش ثم ان العدو دمره الله سرح الامير محمد بن علي فخرج الى بعض حصون الشرقية ووعده بالصلح ان أطاعوه فقامت بدعوته تلك الحصون طمعا في الصلح ثم ان شياطين الانس صاروا يغوون الناس ويزينون لهم ويعدونهم ويطمعونهم في صلح النصاري الى أن مالت الى كلامهم طائفة من اهل ربض البيازين من ارباض غرناطة ووافقهم جل أهل الربض طمعا في الصلح لانهم كانوا سيارة وبادية فقاموا بدعوة الامير محمد بن علي فعند ذلك اشتعلت الفتنة بين ربض البيازين وبين غرناطة واميرها محمد بن سعد ووقع بينهم القتال والحرب ونصبوا على البيازين الانفاط ورجموهم بالحجارة من سور القصبة القديمة ورموا عليهم بالمنجنيق واهل ربض البيازين يدافعون ويقاتلون (١) وينتظرون قدوم الامير محمد بن علي عليهم وهو مع ذلك يرسل اليهم من الشرقية ويعدهم بالقدوم عليهم وهم في قتال وحصار وشدة مدة من ثالث شهر ربيع الاول عام إحدى وتسعين وثمانمائة الى

«١» هذا يؤيد الروايات التي أوردناها في ذيل آخر بنى سراج نقلا عن تواريخ الاوربيين ومن تقع اطيب من كون أولئك الناس لبثوا الى آخر ساعة من ملكهم والعدو محدق بهم يقاتل بعضهم بعضا وكيف يكون الانقراض الا هكذا

اليوم الخامس عشر لجمادى الاولى عام التاريخ المذكور فبينما أهل البيازين ينتظرون قدوم الامير محمد بن علي عليهم اذا به سار إلى مدينة لوشة ووقع الصلح بينه وبين عمه الامير محمد بن سعد أمير غرناطة في حينه على أن يسلم لعمه المذكور في المملكة ويكون هو من تحت يده وأرسل الى البيازين بذلك وأدخلهم في الصلح فبينما هم كذلك إذا بصاحب قشتالة دمره الله أقبل بمحلته على مدينة لوشة فنزلها لامير محمد بن علي ومعه جماعة من أهل نجدة البيازين حين سمعوا بقدوم النصارى عليها تحصنوا بها مع أميرهم محمد بن علي المذكور فحاصرها العدو حصاراً شديداً ونصب عليها انفاطه وعدته وقرب اليها بجيشه وآلة حربه حتى دخلوا ربضها وهدموا بعض أسوارها بالانفاط وقتل كثير من نجدة الرجال واشتد عليهم الحصار فلما رأى أهل لوشة ما لا طاقة لهم به من شدة الحصار وكثرة جموع النصارى وتأخير أهل غرناطة عن نصرتهم طلبوا الامان واتفقوا أن يخرجوا آمنين مؤمنين باموالهم وأولادهم وخيلهم وسلاحهم ودوابهم وجميع ما يقدرون على حمله فاجابهم الى ما طلبوا ووفى لهم به فأخلوا البلد ورحلوا الى غرناطة بما معهم واستولى العدو على مدينة لوشة في السادس والعشرين من جمادى الاولى عام احدى وتسعين(١) وثمانمائة ولم يسرح صاحب قشتالة الامير محمد بن علي بل حبسه عنده ليستاصل به بقية الاندلس

فلما كان النصف الاول من جمادى الآخرة عام التاريخ المذكور خرج ملك الروم بمحلته دمره الله فقصد حصن البيرة فنزل عليه ونصب انفاطه وعدته فلما رأوا ما لا طاقة لهم به من شدة القتال والحصار طلبوا منه الامان

«١» أنث العدد هنا وفي مواضع تأتي وذكره في مواضع سبقت والقاعدة معروفة ولعل الاختلاف من تصرف النسخ أو الطبع. وكتبه مصحح الطبع

على أنفسهم وخيلهم ودوابهم واسلحتهم وجميع ما يقدرون عليه من أمتعتهم فاجابهم الى ما طلبوه منه ووفي لهم بمخرجوا وأخلوا له الحصن وصاروا الى غرناطة

ثم انتقل العدو الى حصن مكلين فنزل عليه بعدته وقرب منها بعدته وانفاطه وقاتلهم قتالا شديدا وهدم بعض الاسوار بالانفاط وكان له انفاط يرمي بها صخوراً من نار فتصعد في الهواء وتنزل على الموضع وهي تشتعل ناراً فتهلك كل من نزلت عليه وتحرقه (١) فكان تلك من جملة ما كان يخذل في أهل المواضع التي كان ينزل عليها

فلما رأى أهل حصن مكلين ما نزل بهم من البلاء وأن لا طاقة لهم به طلبوا الامان كما فعل أهل حصن البيرة وخرجوا مؤمنين باموالهم ووفي لهم بما طلبوه منه

فلما سمع أهل حصون قلنبيرة ما حل بمن جاورهم من الحصون خافوا على أنفسهم فطلبوا من العدو دمره الله الامان على أنفسهم وأموالهم وأن يعطوه الحصن من غير قتال ففعل لهم ذلك وأعطوه الحصن ثم رحلوا الى غرناطة باموالهم وأمتعتهم وأولادهم

وتوجه العدو الى منتفريد فنصب عليه عدته وانفاطه وقاتله قتالا شديدا فلما رأوا ما لا طاقة لهم به ولم تغن مدافعة الحصن شيئا ذعنوا وطلبوا الامان مثل طلب أهل الحصون المتقدمة فأجابهم الى ما طلبوا فخرجوا مؤمنين بما معهم من الامتعة قاصدين مدينة غرناطة أيضا

وكذلك اتفق بحصن الصخرة أيضا واستولى في هذا الشهر المذكور على جميع هذه الحصون وصارت بيده وتهيأ بها غرناطة وأخذ في بناء هذه الحصون

«١» أشبه بالشرابنل وغيره من مقذوفات المدافع الحديثة

وتعنيعها وتحصينها واصلاح شأنها وإشحانها بجميع ما تحتاج اليه من طعام وعدة ورجال وغير ذلك ليضيق على اغرناطة

ثم إن العدو دمره الله تعالى ارتحل الى بلاده فبقي فيها بعض أشهر وسرح الامير محمد بن علي وأمره بالخروج الى حصون الشرقية كيداً منه ومكراً ليعمل الحيلة على تلك الجهة فخرج الامير محمد الى حصن بلش من حصون شرقية الاندلس فقام بدعوته ودخل ثم جعل يكتب الى المواضع ويرسل الكتب ويعدهم بالصلح مع النصارى ان أطاعوه فلم يقبل منه ولم يقم بدعوته أحد، فلم تزل شياطين الفتنة يوسوسون ويعدون الى أن وجدوا في ربض البيازين من غرناطة طائفة من أهل الشر والفساد فقبلوا قولهم ووعدوهم أن يقوموا بدعوته ان كان له صلح مع النصارى وأخفوا حديثهم ولم يظهروه، ثم ان حصون الشرقية قامت بدعوته طمعا في الصلح مع النصارى وبقي الامير محمد بن علي يكتب الى المواضع والقرى ويخبرهم ان معه صلحا مع النصارى صحيحا فلم يقبل منه احد ذلك فلما راي اهل البلد لم يقبلوا منه اتفق رايه ان يسير بخاصته الى ربض البيازين فأخذ من خاصته ومن(؟) يثق به وخرج عن حصون الشرقية قاصداً ربض البيازين من غرناطة فدخل ربض البيازين على حين غفلة من عمه محمد بن سعد امير غرناطة ولم يشعر به احد حتي دخل واجتمعت معه تلك الطائفة المذكورة قبل وانضاف اليه آخرون فاشتدت عصابته وغلظت شوكته وامر مناديه ان له صلحا مع النصارى صحيحا فقام اهل البيازين بدعوته ولم يقبل منه اهل غرناطة ما ذكر من الصلح وانه ليس بصحيح، فاشتعلت نار الفتنة بين

اهل ربض البيازين وبين اهل غرناطة واشتد ضرامها وبلغ العدو ما امله ليقضي الله امراً كان مفعولا

وكان دخول الامير محمد بن علي ربض البيازين في السادس عشر لشوال عام احدى وتسعين وثمانمائة فتعصب أهل غرناطة مع أميرهم محمد بن سعد على أهل البيازين وتعصب أهل البيازين مع أميرهم محمد بن علي ووقع الحرب والقتال بينهم وصاروا يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضاً

ثم إن العدو دمره الله امد أمير البيازين بالرجال والانفاط والبارود والقمح والعلف والبهائم والذهب والفضة وغير ذلك ليشد بذلك عضد الفتنة ويقويها ولم تزل الحرب متصلة بين الفريقين فلما كان اليوم السابع والعشرون من المحرم عزم أمير غرناطة فتح ربض البيازين عنوة بالسيف فندب أهل غرناطة وغيرها من أحوازها وقال لهم ان هؤلاء القوم قد حلت دماؤهم واموالهم لنصرتهم بالنصارى فما لهم الا السيف وندب أهل بسطة وأهل وادي آش ومن حولهم وأمرهم بالهبوط على طريق الفرغ والدخول على باب فج اللبوة في ذلك اليوم وفتح أهل غرناطة باب الحديد وباب البيدر ونقبة باب قشتر ونقبة باب البنود وباب البنود ونقبة ربض البيضاء وباب الدفاف فخرجت عليه طائفة وطلعت على الوادي فدخلت على باب الشمس ودخلت كل طائفة على جهتها وذلك كله في ساعة واحدة فلطف الله تعالى بأهل البيازين فخرج لكل جهة من هذه الجهات طائفة منهم فدافعوهم وقاتلوهم وردوهم على اعقابهم منهزمين فدخلوا بلدهم وسدوا أبوابهم وبنوا نقبهم

ولم تزل الحرب متصلة بين الفريقين والعدو دمره الله يدبر الحيلة عليهم فلما كان النصف من شهر ربيع الثاني (٢) عام اثنين وتسعين وثمانمائة خرج الطاغية

بمحلته الى أرض المسلمين فقصد الى مدينة باش مالقة وكانت على ذمة أمير غرناطة فنزلها فلما سمع أمير غرناطة بنزوله على مدينة باش ندب أهل غرناطة ومن أطاعه من أهل الجهات وترك طائفة تقاتل أهل البيازين وخرج يريد نصرة أهل باش وذلك يوم السبت الرابع والعشرون لربيع الثاني (١) من عام التاريخ المذكور قبل فلما صار قريبا منها وجد العدو سبقه بالنزول عليها ودار بها من كل الجهات فقصد الامير حصن منتميس فنزله بمحلته وأقام به بعض ايام فطلبه الناس ان يسير بهم نحو العدو للقائه فتوجه بهم نحوه فرتبهم وكان ذلك عشية النهار فدخل عليهم الليل بالطريق فبينما هم سائرون إذ قامت كرة ودهشة فانهزموا في ظلام الليل من غير لقاء العدو ولا قتال فرجعوا مهزومين مفلولين الى محلتهم فباتوا ليلتهم تلك فمن غد أتاهم الخبر ان العدو استخلص مدينة باش فسقط في أيديهم وانهزموا من غير قتال ومر كل أحد الى وطنه

وقصد الامير محمد بن سعد غرناطة فأخبر في طريقه ان غرناطة قامت بدعوة ابن اخيه محمد بن علي ودخل البلد وملكه وقتل القواد الذين كانوا بالبلد يقاتلونه فلما سمع عمه الامير محمد بن سعد ذلك رجع الى عقبه (٢) يريد البشرة فسار بعض هنالك الى وادي آش فدخلها بمن معه وكان قيام أهل غرناطة بدعوة أمير البيازين محمد بن علي يوم الاحد الخامس من جمادى الأولى عام التاريخ المذكور قبل فدخل البلد ونزل في القصبة القديمة واستولى العدو دمره الله على باش يوم الجمعة العاشر من جمادي الاولي عام اثنين وتسعين

---

(١) تكرر هذا في قوله والمنقول ربيع الآخر ويظهر ان قول المولدين ربيع الثاني من عصر المؤلف أو ماقبله «٢» انما يقال رجع أو نكص على عقبيه وكتبه مصحح الطبع

وثمانمائة ولما استولى العدو دمره الله على بلش دخلت في ذمته جميع القرى التي تلي بلش وقرى جبل منتميس وحصن قارش وخرج أهل بلش من بلدهم مؤمنين وحملوا ماقدروا على حمله من اموالهم وذلك بعد قتال شديد وحرب عظيم فمنهم من جوزه العدو الى أرض العدوة ومنهم من اقام في بعض تلك القرى ومنهم من صار الى ارض المسلمين التي بقيت بالاندلس

فلما استخلص العدو باش وماحولها سار بمحلته نحو مدينة مالقة فنزل عليها وقاتلها قتالا شديداً وحصرها وأحاط بها من كل جانب ومكان براً وبحراً فتحصن اهل مالقة ببلدهم واظهروا ماكان معهم من السلاح والعدة والانفاط وكان جملة من نجدة الرجال فقاتلوا الروم قتالا شديداً وقتلوا منهم خلقا كثيراً والعدو يفتح عليهم ابوابا من الحرب والحيل والمسلمون يحرسون بلادهم ويغلبون عدوهم ويقتلون من قرب اليهم وهم صابرون محتسبون مدة طويلة حتى ضيق عليهم ودور على المدينة سوراً من تراب وسوراً من خشب وحفيراً مانعا ومنع عليهم الداخل والخارج في البر ومنع أيضا في البحر بالمراكب الداخل والخارج وشد عليهم القتال والحصار وهم مع ذلك صابرون محتسبون ويقاتلون اشد القتال ويعنمون ولا يظهرون جزعا ولا هلعا ولا يطمعون العدو في شيء مما يرومه منهم حتى نفد ماعندهم من الاطعمة والزاد وأكلوا ماكان معهم من المواشي من خيل وبغال وحمير وكلاب والجلود وورق الشجر وغير ذلك من الاشياء التي يمكن أكلها حتى فني ذلك كله وأثر فيهم الجوع أثراً عظيما ومات كثير من نجدة (١)

«١» أي من أنجاد رجالهم وجمع نجد على نجدة لم أجده وانما جمع نجد بمعنى شجاع على انجاد واذ كان المفرد هو النجيد فتجمع على نجد بضمتين ونجداء ولعله أراد بنجدة جمع ناجد فأجراها مجرى فاعل وفعلة

رجالهم الذين كانوا يوالون الحرب والقتال فحينئذ اذعنوا وطلبوا الامان فاحتال عليهم العدو حتى دخل البلد بمكر ومكيدة وأسرهم وسبي نساءهم وأولادهم واحتوى على جميع أموالهم وفرقهم على أهل دخلته وقواده وكان مصابهم مصابا عظيما تحزن له القلوب وتذهل له النفوس وتبكي لمصابهم العيون فانا لله وانا اليه راجعون

وكان استيلاء العدو على مدينة مالقة في أواخر شعبان عام اثنين وتسعين وثمانمائة فحين خلصت للعدو دمره الله مدينة مالقة وبلش وجميع الغربية ولم يبق للمسلمين فى تلك الناحية موضع واحد ارتحل الى بلاده من قشتالة وفي عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة خرج نحو حصون الشرقية وكانت فى صلحه فاستولى على تلك الحصون كلها غدراً ومكرا من غير قتال ولا حصار ولا تعب وصارت جميع حصون الشرقية فى قبضته وتحت ايالته ثم رجع الى بلاده من قشتالة

وفي شهر رجب سنة اربع وتسعين وثمانمائة خرج العدو دمره الله بمحلته وعدته وقصد نحو حصن موجر فحاصره وقاتله قتالا شديداً أياما قلائل فاستولى عليه واستولى أيضا على الحصون القريبة منه ومن مدينة بسطة وقصد مدينة بسطة فنزل قريبا منها فوجد بلدا مقيما بالخيل والرجل والعدة والطعام فكلما قرب من البلد وأراد قتال المسلمين رجع خائبا خاسرا وقتل خلق منه كثير ولم يقدر يمنع داخلها وخارجها كما فعل بغيرها من المدن وكان يدخلها كل من جاءها من نجدة الرجال فبقي محاذيا لها شهر رجب وشعبان ورمضان والمسلمون قائمون ببلدهم غالبون لعدوهم فكلما أراد الدنو من البلد هزموه وردوه على عقبه خائبا خاسرا لم يقدر على نصب نفط ولا عدة من آلة

حربه فلما كان شهر شوال شد عليهم الحصار وعمل على البلد سورا من خشب وحفيرا عظيما وجعل على ذلك الرجال والحراس لئلا يدخل داخل من انجاد الرجال الذين يأتون لنصرتهم واعانتهم على عدوهم ولا من يجلب لهم الطعام ولم يعبأ المسلمون بهذا الصنع يخرجون من النقب ويهبطون من على الاسوار ويقتلونهم في محلتهم في مسلك يسلكونه حتى قتلوا منهم خلقا كثيرا ويحملون المسلمين الواردين بخيلهم واسلحتهم وأمتعتهم كما شرط عليه قواد البلد فساروا الى مدينة وادي آش وأخلوا البلد للنصارى وخرجوا الى الارباض بما معهم من أموالهم وأمتعتهم مؤمنين ولم يتركوا شيئا الا شقف (١) البلد خاصة

ثم أن ملك الروم دمره الله جعل في البلد قائدا من قواده وحاكما ورتبه وأشحنه بما يحتاج اليه من أطعمة وزاد وآلة حرب وارتحل من بسطة يريد مدينة المرية فلم يمر على حصن ولا قرية إلا ودخل في ذمته وتحت طاعته من غير قتال ولا حصار

ثم خرج الامير محمد بن سعد من مدينة وادي آش تابعا لصاحب قشتالة فلما لحقه بايعه وأدخل في ذمته وتحت طاعته على أن يعطيه مدينة وادي آش وكل مدينة وحصن وقرية كانت تحت طاعته وحكمه فاجابه الى مطلبه ورجع معه الى وادي آش وهو فرح مسرور فدخلها العدو وقبض قصبتها واستولى عليها في العشر الاول من شهر صفر عام خمسة وتسعين وثمانمائة ودخل في ذمته جميع فرسان الامير محمد بن سعد وجميع قواده وصاروا له عونا على المسلمين وطوعوا له جميع البلاد والقرى والحصون التي كانت تحت طاعته من مدينة المرية الى مدينة المنكب الى قرية البذول

(١) الشقف محركة هو الخزف

فقبض صاحب قشتالة ذلك كله من غير قتال ولا حصار ولا تعب ولا نصب فانا لله وانا اليه راجعون وجعل فى كل قصبة قائداً نصرانيا مع جماعة من النصاري يحكم أهل ذلك الموضع وفى هذا الشهر المذكور خلصت جميع بلاد الاندلس لصاحب قشتالة ودخلت تحت طاعته وتدجن (١) جميع أهلها ولم يبق للمسلمين في الاندلس غير مدينة غرناطة وماحولها من القري خاصة وزعم كثير من الناس أن الامير محمد بن سعد وقواده باعوا من صاحب قشتالة هذه البلاد والقري التي كانت تحت طاعتهم وقبضوا منه ثمنها وذلك على وجه الفرصة والانتقام من ولد أخيه محمد بن علي وقواده لانهم كانوا في غرناطة ولم يكن تحت طاعتهم غير غرناطة وكان في صلح العدو فاراد بذلك قطع علائق غرناطة لتهلك كما هلك غيرها

فلما صارت هذه البلاد كلها تحت ذمة العدو ولم يبق لصاحب قشتالة سوي غرناطة التي هي في صلحه ورأى أن الاسلام دثر من جميع بلاد الاندلس وقع طمعه ونقض ما كان بينه وبين صاحب غرناطة محمد بن علي من الصلح (٢) فاخذ برج ملاحة غرناطة وبرج قرية همدان وكانا برجين كبيرين حصينين فزادهما تحصنا وتمنعا وأشحنهما بالرجال وما يحتاج اليه من آلة الحرب ليضيق على أهل غرناطة لانهما كانا قريبين منها فضيق بذلك عليها أشد الضيق

« ١ » معلوم ان المدجنين هم المسلمون الذين دخلوا تحت حكم النصارى في الاندلس وقد اشتق المؤلف منه فعل تدجن

« ٢ » ما اشبه الليلة بالبارحة وما أقرب هذه الافعال من سياسة الدول المستعمرة اليوم في اغرائها أحد امراء الاسلام بقتال جاره حتى اذا قضت وطرها من جاره قلبت ظهر المجن لهذا الذي كان يظن انها حالفته

وفي هـذه السنة وهي سنـة خمس وتسعين وثمانمائة بعث ملك النصارى الى صاحب غرناطة محمد بن علي يسأله أن يعطيه مدينة الحمراء من غرناطة ويترك الامير محمد المذكور سائر البلد والدخول في ذمته كما دخل فيها سائر الاندلس وظن أن ذلك يتم له فأطمعه الامير محمدبن علي في ذلك فخرج صاحب قشتالة مسروراً بمحلته لقبض مدينة الحمراء غرناطة وللنزهة فيها وخرج معه النساء والصبيان بقصد النزهة ولم يظن أن في مدينة غرناطة مدافعاً له ولا مقاتلا ولا معاندا

فحين وصل خبر خروج صاحب قشتالة وأنه قادم على غرناطة حسبما ذكر جمع أمير غرناطة خاصته وعامته وأخبرهم بمراده وما طلب منه وانما خروجه ليدخل البلد على الصفة المذكورة واستشارهم في ذلك فاجمعوا على قتاله ومدافعته عنهم بما أمكنهم حتى يفتح الله عليهم أو يهلكوا عن آخرهم وتعاهدوا مع أميرهم أن يكونوا ابداً واحدة على قتال عدوهم فبلغ ملك النصاري مقالتهم وما اتفقوا عليه فساءه ذلك وغمه فجمع جميع جيوشه ونزل بمحلته مرج غرناطة وجعل يقطع الطرق ويفسد الزرع وغيره فخرج اليه فرسان المسلمين من أهل غرناطة يقدمهم القواد وبرز الامير مع الرجال قريبا من البلد قلوبهم واثقة بالله يسألون من الله سبحانه النصر والمعونة على عدوهم وخرج مع ملك الروم في محلته جماعة من المرتدين الداخلين في ذمته من أهل الحصون والقري والمدن (١) يدلونه على عورات المسلمين ويحرضونه على قتالهم وكان خروج الروم في أول رجب من سنة التاريخ فكلما أرادوا الدنو من البلد وفتحوا الكرب بابا ردهم الله

«١» قد ورد فيما نقلناه عن تواريخ الفرنجة وعن المقرى طرف من خبر هؤلاء المرتدين

على أدبارهم مهزومين مفلولين بنصر الله ومعونته وفرسان المسلمين صابرون محتسبون حتى قتلوا من الروم خلقا كثيرا فلما عاين ملك الروم انه لا طاقة له بالدنو من غرناطة وان بها حماة من الفرسان والرجال منعوها من كل جهة ومكان وايدهم الله بعزيز نصره ولم يتركوه يجد فيها فرصة ارتحل عنها يعض انامله من الغيظ وذلك في النصف من شهر رجب عام تاريخه رهدم برج غَويوْ وزاد اشحانا للبرج من المرتدين أهل القرية وشرذمة أخرى من النصارى وشيأ كثيرا من الطعام والعدة وآلة الحرب وعمر أيضا برج الملاحة وشحنه بمثل ذلك ورحل الى بلاده من قشتالة فبعد ارتحاله بايام قلائل خرج أهل غرناطة مع أميرهم محمد بن على الى قرية البذول وقاتلوا من بها من النصارى والمرتدين حتى فتحها الله تعالى ودخلوها عنوة وفتح الله ذلك الاقليم كله ودخل في ذمة المسلمين فرجع أهل غرناطة الى بلادهم فرحين مستبشرين بنصر الله تعالى (١) فبعد وصولهم وردت عليهم ارسال من قبل قرى البُشَرَّة يطلبون من الامير محمد أن يقدم عليهم بجيش المسلمين ليدخلوا في ذمته فخرج اليهم من غرناطة فى بقية رجب المذكور بجماعة المسلمين من أهل غرناطة فقصد قرية الانجرون من قرى البشرة فنزل هنالك وانجلى من كان هنالك من النصارى والمرتدين

فلما كان شهر شعبان من سنة التاريخ بعث من بالبشرة الى الامير بغرناطة يعلمه ان هذه الجهات التي بقيت مع النصارى بعثوا أن يقدم الامير

(١) وترك الامير وزيره بجماعة انجاد الفرسان يقاتل من بقي . . . من النصارى والمرتدين . اه من حاشية الاصل المطبوع

محمد بن علي عليهم ليدخلوا في ذمته فبرح (١) الامير على أهل نجدة فرسان غرناطة وخرج بهم في العشر الاول من عام التاريخ يريد البشرة فقصد حصن اندرش وكان به الامير محمد بن سعد وجماعة المرتدين فلما سمع بقدوم الامير محمد بن على بجيش أهل غرناطة خرج بمن معه من المرتدين هاربا مهزوما الى مدينة المرية ورجع كثير ممن كان معه الى المسلمين ودخل أمير غرناطة بمحلته حصن اندرش واسترجعت تلك الجهات كلها الى الاسلام كما كانت أولا من غير حرب ولا قتال وسمع من كان ببرجة ودليد بذلك فهربوا ورجعت ايضا تلك الجهات كلها الى المسلمين فرتب الامير محمد بن على هنالك قوادا وفرسانا وارتحل نحو غرناطة فدخلها في نصف من شعبان عام خمسة وتسعين وثمانمائة بمن معه من جيوش المسلمين وعامتهم فرحين مستبشرين بنصر الله تعالى وتأييده

فلما كان العشر الاول من شهر رمضان عام التاريخ أتت طائفة من المرتدين والنصارى فغلبوا على حصن اندرش فملكوه وفر منه من كان به من فرسان المسلمين لانهم كانوا شرذمة قليلة واتاهم مالا طاقة لهم به وفي السادس من شهر رمضان عام التاريخ خرج ملك غرناطة بمحلته نحو قرية همدان يريد فتحها وأمر باخراج العدة وآلة الحرب وكان بالقرية المذكورة جماعة من فرسان النصارى دمرهم الله والمرتدين من أهل القرية وكان ملك النصارى بنى حول برجها بنيانا عظيما منيعاً بأنواع من بناء الحرب وخدعته وحصن برجها تحصينا منيعاوأشحنه بكثير من الطعام وآلة

(١) اهل المغرب يستعملون برح عليه بمعنى نادى وهو من البراح بمعنى الامر البين والجهر

الحرب والمنعة يظهر لمن رآه أن لا طاقة لاحد بأخذه لما يراه من تشييد بنائه وتحصينه وتشعب أسواره وظن أهل غرناطة انهم لا طاقة لهم باخذ ذلك ولا فتحه فحين نزل أهل غرناطة مع اميرهم بقرية همدان فتحصن(١) من بها من النصارى والمرتدين بحصنهم ودارت بهم جيوش المسلمين من كل جانب بالقتال الشديد حتى قربوا من السور الاول فجعلت كل طائفة من المسلمين نقبا حتى دخلوا معهم في الحزام الاول ثم في الثاني ثم في الحزام الثالث حتى الجئوهم الى داخل البرج وذلك بعد محاربة وقتال شديد واستشهد فيه جماعة من المسلمين رحمهم الله تعالى فحين وصل المسلمون الى أصل البرج أخذوا في نقبه فجعلوا ينقبون ويدعمون بالخُشب الى أن نقبوا فيه نقبا كثيراً فلما رأى من في البرج أن النقب قد كثر خافوا من اهدام(٢) البرج عليهم ويهلكوا (٣) فاعطوا البرج واذعنوا للاسر فأسروا عن آخرهم ومن معهم من المرتدين واحتوى المسلمون على ماكان في البرج من الطعام والعدة والاموال ونحو مائة وثمانين أسيراً

ثم أقبل الامير بمحلته راجعا الى غرناطة في اليوم الحادي عشر لرمضان المعظم عام التاريخ وفرح المسلمون بما منحهم الله وفتح عليهم فرحا شديداً وأقام الامير بها الى الثامن عشر من رمضان المذكور عام التاريخ ثم نادى مناديه في كافة أهل غرناطة من خاص وعام وكبيرهم وصغيرهم

«١» كذا ولعل أصله تحصن لانه متعلق حين ومابعد ان ولا يعمل فيما قبلها ، اه مصحح الطبع

(٢) يقال هدم البناء وهدمه بالتشديد ولم ينقل وأهدمه فلعله تحريف (٣) وفي نسخة ويهلكون

أمرهم بالاستعداد والخروج الى مدينة المنكب يريد فتحها، فخرج بعد صلاة الجمعة من ذلك اليوم بمحلته فجاز على قرية البذول فأمر بهدم برجها ثم سار نحو الساحل فاجتاز حصن شلوبانية فتحصن من بها من النصارى والمرتدين بحصنهم وقاتلوا المسلمين فزحفت اليهم جموع المسلمين وقاتلوهم قتالا شديداً حتى دخلوا الحصن والجئوهم الى القصبة فتحصنوا بها ودار بهم المسلمون من كل جانب ومنعوا لهم(١) الماء وضيقوا عليهم في الحصار حتى نفدت الخيل والدواب من شدة مالحقهم من العطش فأقام عليهم المسلمون بقية رمضان وهم طامعون في فتح الحصن واذا بخبر جاء الامير أن طاغية الروم خارج بمحلته نحوهم يريد غرناطة في ثالث شوال عام تاريخه فأقاموا بها نحو ثلاثة أيام أو أربعة واذا بملك النصارى أقبل بمحلته ونزل مرج غرناطة ومعه طائفة من المرتدين والمدجنين يدلونه على عورات المسلمين ويعينونه عليهم فجعلوا يقطعون الذرة والكرمات ويفسدون؛ والمسلمون على قلتهم وضعفهم صابرون على القتال محتسبون لله تعالى، يقتلون من الكفار خلقا كثيراً حتى منعوهم عن فساد كثير من الذرة والكرمات التي بالفحص (٢) فأقام نازلا عليهم نحو ثمانية أيام وأمر باخلاء برج الملاحة وبرج رومة وهدمهما وارتحل يريد بلاد قشتالة فمر في سيره على برج اللوزات فأمر بهدمه ثم انطلق الى مدينة وادي آش فاخرج من كان بها من المدجنين ولم يترك بها ولا في ارباضها أحداً منهم فخرجوا من مدينتهم

«١» لعل أصله ومنعوهم فانه يقال منعه الشيء ومنعه منه وعنه . اهـ مصحح الطبع

(٢) الفحص الربض

أذلة صاغرين فتفرقوا على القرى وأمر بهدم قصبة أندرش وتفلل (١) أولئك المرتدون الذين كانوا بها وأميرهم محمد بن سعد ولم يبق لهم عند صاحب قشتالة جاه ولا حظوة فمنهم من جاز مع الامير محمد بن سعد لعدوة وهران ومنهم من رجع الى المسلمين ومنهم من أقام مع النصارى

ثم ارتحل ملك الروم الى داخل بلاده لامر مهم حدث له هنالك وفي أواخر شوال تغلب المسلمون على أندرش وما يليها ودخلت في ذمة المسلمين ثم صار المسلمون الى حصن مرشانة فحصروا من كان بها من النصارى وقاتلوهم حتى نزلوا للاسر واسترجعت تلك المواضع والجهات للمسلمين فلما رأى أهل قرية فنيالة استرجاع من جاورهم للاسلام أرادوا القيام على من في قصبتها من النصارى فخادعهم النصارى بالكلام وبعثوا الى صاحب وادي آش فقدم عليهم بمن معه من النصارى فأحاط بقريتهم من كل جانب ومكان وقاتلوهم قتالا شديداً ودخلوا عليهم القرية وهبط من كان في القصبة من النصاري وقتلوا كثيراً من رجال المسلمين واستولى النصارى على جميع ما كان بالقرية من الرجال والنساء والصبيان والاموال وساروا بهم الى داخل بلادهم مأسورين

فلما رأى أهل قرى سند وادي آش ما اتفق لاهل قرية فنيانة خافوا أن يتفق لهم كذلك فبعثوا لامير غرناطة يستنصرونه ويطلبون منه أن يسير اليهم باهل غرناطة وديارهم فيرفعون ما معهم من الامتعة والاموال والزرع وغير ذلك فخرج اليهم أمير غرناطة بأهل البلد في الثالث عشر لذي القعدة

(١) تفلل القوم انكسروا وفي لغة العامة بالشام تفرقوا . وفي اللسان وفل القوم يفلهم فلا هزمهم فانفلوا وتفللوا ، وهم قوم فل : منهزمون

عام التاريخ بريد نصر تهم ورفعهم من قراهم فنزل بقرية ونجر فاقام بعض أيام ثم ارتحل من قرية ونجر الى قرية شريش من قرى وادي آش فنزل هنالك وأقام بها نحو ثمانية أيام وبعث لدواب غرناطة وما يليها من القرى وصاروا ينقلون الزرع من قرى وادي آش ويحملونه الى غرناطة فحملوا منه زرعاً كثيراً إلى غرناطة وونجر وأمر الامير محمد بن علي باخلاء تلك القرى وارتحالهم عن آخرهم باهلهم ونسائهم وصبيانهم وما قدروا على حمله من أموالهم وزرعهم ومواشيهم وكان في تلك القرى من القمح والشعير والذرة شيء كثير لا يطاق على وصفه فبلغ الامير محمد بن علي أن النصارى دمرهم الله قد جمعوا له فارتحل من قرية شريش راجعا الى قرية ونجر ثم دخل غرناطه آخر النهار في الثالث والعشرين لذي القعدة عام تاريخه

ثم ان النصارى دمرهم الله لما رأوا أن أهل تلك القرى قد فروا بانفسهم الى أرض المسلمين واخلوا قراهم (أظهروا لهم الامان من رجع إلى قريته أمن فرجع كثير الى قراهم) وركنوا الى قول النصاري ودخلوا في ذمتهم ولم يزالوا يرجعون الى مواضعهم حتى لم يبق منهم في أرض المسلمين الا القليل

وفي الثاني عشر لجمادى الآخرة عام ستة وتسعين وثمانمائة خرج ملك قشتالة بمحلته الى فحص غرناطة وكان ذلك بموافقة العشر الآخر من شهر أبريل العجمي والزرع أخضر فافسدوا زرعها ودوخوا أرضها وهدموا قراها ثم سار الى قرى الاقليم فافسد زرعها وهدم قراها وقتل ناسا وأسر آخرين وعاد الى فحص غرناطة ونزل بمحلته بقرية عتقة ثم شرع في البناء هنالك مسوراً (١) كبيرا في ايام قلائل وسماه شنتفي وصار يهدم القرى ويأخذ

(١) ضبط بفتح الميم مشددة ولعله مفعول لفعل سقط من النسخ أي فبنى مسورا

ما فيها من آلة البناء و يحمله على العجل (١) و يحمله الى ذلك البلد الذي بني ويعني به وهو مع ذلك يقاتل المسلمين و يقاتلونه قتالا شديداً وحارب ملك الروم أبراج القرى الدائرة بغرناطة وأخذها ولم يبق عليه الا قرية الفخار فلم يزل يلح عليها و يجلب عليها بخيله ورجله ويطمع أن يجد فيها فرصة فلم يقدر علي شيء حتى قتل له عليها خلق كثير من الروم ووقعت عليها ملاحم كثيرة بين المسلمين والنصارى لان المسلمين كانوا يلحون على حمايتها خوفاً أن يملكها الروم فتكون سبباً لخلاء قرى الجبل واحصار البلد فلم يزالوا يدافعون عنها و يقاتلون من قصدها حتى قصر عنها العدو لكثرة ما قتل له عليها من خيل و رجال

ولم تزل الحرب متصلة بين المسلمين والنصارى كل يوم تارة في أرض الفخار وتارة في أرض بليانة وتارة في أرض رسانة وتارة في ارض طفير وتارة في أرض يمور وتارة في أرض الجدوي وتارة في أرض رملة أقلوم وتارة في أرض الربيط وتارة في وادي منتيل وغير ذلك من المواضع التي على غرناطة وفي كل ملحمة من هذه الملاحم أثخن ناس كثير من انجاد المسلمين بالجراحات ويستشهد آخرون ومن النصارى أضعاف ذلك والمسلمون في ذلك صابرون محتسبون واثقون بنصر الله تعالى يقاتلون عدوهم بنية صادقة وقلوب صافية ويمشي منهم الرجال في ظلام الليل لمحلة النصارى و يتعرضون لهم في الطرقات فيغنمون ما وجدوا من خيل وبغال وحمير وبقر وغنم ورجال وغير ذلك حتى صار اللحم بالبلد من كثرته رطل بدرهم ومع هذا لم تزل الحرب متصلة بين المسلمين والنصارى والقتل والجراحات فاشيان في الفريقين بسبعة أشهر

---

(١) جمع عجلة

الى أن فنيت خيل المسلمين بالقتل ولم يبق منها الا القليل وفني أيضا كثير من نجدا الرجال بالقتل والجراحات وفى هذه المدة المذكورة انجلى كثير من الناس الى بلاد البشرة لما نالهم من الجوع والخوف وكان الطريق للبشرة على جبل شلير وكان يأتي للبلد من البشرة على ذلك الطريق خير كثير من القمح والشعير والذرة والزيت والزبيب وغير ذلك من الفواكه والسلع

ومازال حال البلد يضعف ويقل من الطعام والرجال الى أن دخل شهر المحرم عام سبعة وتسعين وثمانمائة ودخل فصل الشتاء والثلج نازل بالجبل وقطع الطريق من البشرة فقل الطعام عند ذلك فى أسواق غرناطة واشتد الغلاء وأدرك الجوع كثيرا من الناس وكثر السؤال والعدو ساكن فى بلده ومحلته وقد منع الفحص كله ومنع المسلمين من الحرث والزراعة وقطع الحرب في هذه المدة بين الفريقين فلما دخل شهر صفر من عام التاريخ اشتد الحال على الناس بالجوع وقلة الطعام وادرك الجوع كثيرا من الناس الموسرين فاجتمع أعيان الناس من الخاصة والعامة والفقهاء والامناء والاشياخ والعرفاء ومن بقي من انجاد الفرسان ومن له نظر بغرناطة وساروا الى أميرهم محمد بن على فاعلموه بحال الناس وماهم عليه من ضعف وشدة الجوع وقلة الطعام وان بلدهم بلد كبير لايقوم به طعام مجلوب فكيف ولم يجلب اليه شيء وان الطريق الذى كان يأتيهم عليه الطعام والفواكه من البشرة انقطع وان انجاد فرسانهم هلكوا وفنوا ومن بقي اثخن بالجراحات وقد امتنع عنهم الطعام والزرع والحرث وان رجالهم هلكوا فى تلك الملاحم واخواننا المسلمون من أهل عدوة الغرب لم يأتنا أحد منهم ولا عرج على نصرتنا واغاثتنا وعدونا قد بنى علينا وسكن معنا وهو يزداد قوة ونحن

تزداد ضعفا والمدد يأتيه من بلاده ونحن لا مدد لنا وهذا فصل الشتاء قد دخل ومحلة عدونا قد تفرقت وضعفت وهو قد قطع عنا الحرب وان تكلمنا معه الآن قبل منا واعطانا كل ما نطلب منه وان بقينا حتي يدخل فصل الربيع تجتمع عليه جيوشه مع ما يلحقنا نحن من الضعف والقلة فلن يقبل منا ما نطلبه منه ولا نأمن نحن على أنفسنا من الغلبة ولا على بلدنا فانه هرب من بلدنا ناس كثير يدلونه على عوراتنا ويستعين بهم علينا. فقال الامير محمد انظروا مايظهر لكم وما تتفقون عليه من الرأي الذي فيه صلاحكم، فاتفق رأي الجميع من خاصة وعامة أن يبعثوا لملك الروم من يتكلم معه فى أمرهم وأمر بلادهم، وزعم كثير من الناس ان أمير غرناطة ووزيره وقواده كان تقدم بينهم وبين ملك الروم النازل عليهم الكلام فى اعطاء البلد الا انهم خافوا من العامة وكانوا يحتالون عليهم بلاطفونهم حين أتوهم بما أضمروا عليه خوفهم من حينهم ولاجل ذلك قطع الحرب بينهم في تلك المدة المذكورة حتى وجدوا لذلك الكلام مسلكا مع العامة فلما بعثوا لملك الروم بذلك وجدوه راغبا فيه فانعم لهم بجميع ما طلبوا منه وما شرطوا عليه

ومن جملة الشروط التي شرط أهل غرناطة على ملك الروم: يؤمنهم فى أنفسهم ونسائهم وصبيانهم ومواشيهم ورباعهم وجناتهم ومحارثهم وجميع ما بأيديهم ولا يغرمون الا الزكاة والعشر لمن اراد الاقامة ببلدة غرناطة، ومن اراد الخروج منها يبيع اصله بما يرضاه من الثمن لمن يريده من النصارى والمسلمين من غير غبن، ومن أراد الجواز لبلاد العدوة بالغرب يبيع اصله ويحمل امتعته ويحمله فى مراكبه الى اي ارض اراد من بلاد المسلمين من غير كراء ولا شيء يلزمه لمدة من ثلاث سنين، ومن اراد الاقامة من

المسلمين بغرناطة فله الامان على نحو ما ذكر . وكتب لهم بذلك كتابا وأخذوا عليه عهودا ومواثيق في دينه مغلظة على ان يوفي لهم بجميع ماشرطوه عليه

فلما تمت هذه العقود والمواثيق قرئت على اهل غرناطة فلما سمعوا ما فيها اطمأنوا اليها وانقادوا لطاعته وكتبوا بيعتهم وارسلوها لملك الروم صاحب قشتالة وسمحوا له في الدخول الى مدينة الحمراء والى غرناطة فعند ذلك امر امير غرناطة محمد بن علي باخلاء مدينة الحمراء فأخليت دورها وقصورها ومنازهها واقاموا ينتظرون دخول النصارى لقبضها فلما كان اليوم الثاني لربيع الاول عام سبعمائة وتسعين وثمانمائة اقبل ملك الروم بجيوشه حتى قرب من البلد وبعث جناحا من جيشه فدخلوا مدينة الحمراء واقام ببقية الجيوش خارج البلد لانه كان يخاف من الغدر وكان طلب من اهل البلد حين وقع بينهم الاتفاق على ما ذكر رهونا من اهل البلد ليطمئن بذلك فاعطوا خمسمائة رجل منهم واقعدهم بمحلته فحينئذ قدم كما ذكرنا فلما اطمأن من اهل البلد ولم ير منهم غدراً سرح جنوده لدخول البلد والحمراء فدخل منهم خلق كثير وبقي هو خارج البلد واشحن الحمراء بكثير من الدقيق والطعام والعدة وترك فيها قائداً من قواده وانصرف راجعا الى محلته وبقي حينئذ يختلف بالدقيق والعارفات وأنواع الطعام والعدة وما يحتاج اليه وقدم في البلد قواداً وحكاما وبوابين وما يحتاج البلد اليه من الامور وصار المسلمون يختلفون الى المحلة للبيع والشراء والنصارى كذلك ولما سمع أهل البشرة ان أهل غرناطة دخلت تحت ذمة النصارى أرسلوا بيعتهم الى ملك النصارى ودخلوا في ذمته ولم يبق للمسلمين موضع بالاندلس فانا لله وانا اليه راجعون

ثم ان ملك الروم سرح الناس الذين كانوا عنده مرتهنين ومؤمنين في اموالهم وانفسهم مكرمين واقبل فى جيوشه حين اطمأن فدخل مدينة الحمراء فى بعض خواصه وبقى الجند خارج البلد وبقى يتنزه في الحمراء في القصور والمنازه المشيدة الى آخر النهار ثم خرج بجنوده وصار الى محلته فمن غد أخذ في بناء الحمراء وتشييدها وتحصينها واصلاح شأنها وفتح طرقها وهو مع ذلك يتردد الى الحمراء بالنهار ويرجع بالليل لمحلته فلم يزل كذلك الى ان اطمأنت نفسه من غدر المسلمين فحينئذ دخل البلد ودار فيه فى نصر من قومه وحشمه فلما اطمأن في البلد سرّح لهم الجواز واتاهم بالمراكب الى الساحل فصار كل من أراد الجواز يبيع ماله ورباعه ودوره فكان الواحد منهم يبيع الدار الكبيرة الواسعة المعتبرة بالثمن القليل وكذلك يبيع جنانه وارض حرثه وكرمه وفدانه باقل من ثمن الغلة التي كانت فيه فمنهم من اشتراه منه المسلمون الذين عزموا على الدجن ومنهم من اشتراه منه النصارى وكذلك جميع الحوائج والامتعة، وأمرهم بالمسير الى الساحل بما معهم فيرفعهم النصارى في البحر محترمين مكرمين مؤمنين

وكان ملك الروم قد أظهر للمسلمين في هذه المدة العناية والاحترام حتى كان النصارى يغيرون منهم ويقولون لهم أنتم الآن عند ملكنا أعز وأكرم منا، ووضع عنهم المغارم وأظهر لهم العدل حيلة منه وكيداً ليغرهم بذلك وليثبطهم عن الجواز، فوقع الطمع الكثير من الناس، وظنوا أن ذلك يدوم لهم فاشتروا أموالا رخيصة وامتعة وعزموا على الجلوس مع النصارى

ثم إن ملك الروم أمر الامير محمد بن علي بالانصراف من غرناطة الى بقرية اندرش من قرى البشرة فارتحل الامير محمد بعياله وحشمه وأمواله

واتباعه فنزل قرية اندرش وأقام بها ينتظر ما يؤمر به، ثم ان الطاغية ظهر له أن يصرف الامير محمدا الى العدوة فامره بالجواز وبعث للمراكب تأتي لمرسى عذرة واجتمع معه خلق كثير ممن أراد الجواز فركب الامير محمد ومن معه في تلك المراكب في عزة واحترام وكرامة مع النصارى وساروا فى البحر حتى نزلوا مدينة مليلة من عدوة العرب ثم ارتحل الى مدينة فاس حرسها الله، وكان من قدر الله تعالى لما جاز الامير محمد بن علي وصار بمدينة فاس أصاب الناس شدة عظيمة وغلاء وجوع وطاعون واشتد الامر بفاس حتى فر كثير من الناس من شدة الامر ورجع بعض ناس من الذين جازوا الى الاندلس فاخبروا بتلك الشدة فقصر الناس عن الجواز عند ذلك وعزموا على الاقامة والدجن ولم يجوّز النصارى أحداً بعد ذلك الا بالكراء والمغرم وعشر المال

فلما رأى ملك الروم أن الناس قد تركوا الجواز وعزموا على الاستيطان والمقام فى الوطن أخذ في نقض الشروط التي شرطوا عليه أول مرة ولم يزل ينقضها فصلا فصلا (١) الى أن نقض جميعها وزالت حرمة المسلمين وادركهم الهوان والذلة واستطال عليهم النصارى وفرضت عليهم الفروضات وثقلت عليهم المغارم وقطع لهم الاذان من الصوامع وامرهم بالخروج من مدينة غرناطة الى الارباض والقرى فخرجوا اذلة صاغرين ثم بعد ذلك دعاهم الى التنصر واكرههم عليه وذلك سنة اربع وتسعمائة فدخلوا فى دينهم كرها وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبق فيها من يقول « لا اله الاالله محمد رسول الله » الا من يقولها في قلبه وفي خفية من الناس،

---

١) وهذه أيضا من الامور التي لها نظائر كثيرة في تاريخ الاستعمار .

وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الاذان، وفي مساجدها الصور والصلبان، بعد ذكر الله وتلاوة القرآن، فكم فيها من عين باكية وقلب حزين، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين، لم يقدروا على الهجرة واللحوق باخوانهم المسلمين، قلوبهم تشتعل ناراً، ودموعهم تسيل سيلا غزيراً، وينظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان، ويسجدون للاوثان، ويأكلون الخنزير والميتات، ويشربون الخمر التي هي أم الخبائث والمنكرات، فلا يقدرون على منعهم، ولا على نهيهم ولا على زجرهم، ومن فعل ذلك عوقب بأشد العقاب، وعذب بأشد العذاب، فيالها من فجعة ما أمرها، ومصيبة ما أعظمها، وطامة ما أكبرها، عسى الله أن يجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا انه على كل شيء قدير

وقد كان بعض أهل الاندلس امتنعوا من التنصر وأرادوا أن يدافعوا عن أنفسهم كأهل قرية ونجر والبشرة واندرش وبلفيق فجمع عليهم ملك الروم جموعه وأحاط بهم من كل مكان حتى أخذهم عنوة بعد قتال شديد فقتل رجالهم وسبى نساءهم وصبيانهم وأموالهم، ونصرهم واستعبدهم، الا أن ناسا في غربية الاندلس امتنعوا من التنصر وانحازوا الى جبل وعر منيع فاجتمعوا فيه بعيالهم وأموالهم وتحصنوا فيه فجمع عليهم ملك الروم جموعه وطمع في الوصول اليهم كما فعل بغيرهم فلما دنا منهم وأراد قتالهم خيب الله سعيه ورده على عقبه ونصرهم عليه فقتلوا من جنده خلقا كثيرا من رجال وفرسان وأقناد.

فلما رأى انه لا يقدر عليهم طلب منهم أن يعطيهم الامان ويجوزهم لعدوة الغرب مؤمنين فانعموا له ذلك الا أنه لا يسرح لهم شيئا من

أموالهم غير الثياب التي كانت عليهم وجوزهم لعدوة الغرب كما شرطوا عليه ، ولم يطمع أحد بعد ذلك أن يقوم بدعوة الاسلام ، وعم الكفر جميع القرى والبلدان ، وانطفي من الاندلس الاسلام والايمان ، فعلى هذا فليبك الباكون وينتحب المنتحبون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، كان ذلك في الكتاب مسطورا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، لا راد لامره ، ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما الي يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين

نجز كتاب أخبار العصر فى انقضاء دولة

بني نصر يوم الثلاثاء الرابع

والعشرين من جمادي

الثانية من

عام ٩٤٧



اثارة تاريخية

في

أربعة مراسيم سلطانية

صادرة

عن أبي الحسن علي بن ابي النصر بن ابي الاحمر

الى بعض فرسان الاسبانيول وزعمائهم

بين سنتي ١٤٧٠ و ١٤٧٥

طبعت عن نسخة مطبوعة بباريس سنة ١٨٦٣

*

المرسوم الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله أمير المسلمين علي الغالب بالله ابن مولانا أمير المسلمين أبي النصر ابن الامير المقدس أبي الحسن ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر أيده الله بنصره، وأمده بيسره، إلى الفارسين الكرمين الزعيمين الحسيبين المشكورين الوفيين ذون دياقه هر نادس المرشكال ومرتين المنشه ذي منت ميور صاحب اقبذيق أكرمهما الله بتقواه، وأسعدهما بهداه، سلام يراجع سلامكم كثيرا أثيرا، كتبنا اليكم من حمرائنا العلية بغرناطة حرسها الله عن الخير والعافية والحمد لله

وإلى هذا فاعلموا أيها الفارسان المكرمان انه وصل كتابكم وفهمنا جميع ماذكرتم فيه فشكرنا تعريفكم وقصدكم وأثنينا على محبتكم ومودتكم وشكرناكم على وصولكم للقبذيق وعلى إظهار المحبة التي لا شك فيها فأنتم علم الله عندنا من أحبابنا الاوفياء، وأصدقائنا الاصفياء، وبسبب انه وصلنا التعريف ان ذون المنشه والفرسان جازوا الى توجه وزير مقاء نا الجهة وادي آش ولاجل انه توجه سريعا ولم يصح عندنا من الاخبار شيء بصحيح ماعرفكم بشيء فنريد منكم ان لا تزالوا تعرفونا بما يزيد عندكم وكذلك نحن نعرفكم بما يزيد عندنا وجميع حوائجكم عندنا مقضية والله يصل كرامتكم بتقواه

كتب في (الناسع) عشر لربيع الاول عام خمسة وسبعين وثمانما(يه) صح هذا؟

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. ليعلم من يقف على هذا المكتوب الكريم أو يسمعه اننا عبدالله امير المسلمين علي الغالب بالله ابن مولانا أمير المسلمين ابي النصر ابن الامير المقدس ابي الحسن ابن امير المسلمين أبي الحجاج ابن امير المسلمين ابي عبدالله ابن امير المسلمين ابي الحجاج ابن أمير المسلمين ابي الوليد بن نصر ايدنا الله بنصره .. وأمدنا بيسره ..

كان بيننا وبين الفارس المكرم الزعيم الحسيب المشكور الاوفى ذون دياقه هرّ ندس ذي قرطبة قندقبره بن قند حصن اشر صاحب بيانه وقائد القلمة والفارس المكرم الزعيم الحسيب المشكور مرتين المنشه ذي منت ميور صاحب القبذيق والفارس المكرم الحسيب الزعيم المشكور بيفش بنيفش صاحب الك والبندين اكرمهم الله بتقواه صلح ثابت، ومحبة صادقة، ومودة خالصة، منعقدة لامدمعلوم ، ولاجل أن هذه المحبة التي بين مقامنا وبين الفرسان المذكورين هي تزداد في كل يوم وفي كل حين ونحن نريد أن تزيد اكثر من ذلك وانا نجددها الآن، وان ندخل في الصلح والمحبة الفرسان المكرمين بيفش بنيفش صاحب الك والبندين وذون دياقه هرندس المرشكال بقشالة والوزير الكبير بقرطبة وذون مرتين قندوتر استبه اولا القند ذي قبره فلاجل ذلك تعلمون ايها الفرسان المكرمون والاحباب المشكورون ذون دياقه هرندس ذي قرطبة قندقبره وبن قند حصن اشر وصاحب بيانه وقائد

القلعة ومرتين المنشه ذي بنت بيورصاحب القبذيق ويغش بنيغش صاحب لك والبندين وذون دياقه هرندس المرشكال بقشتالة الوزير الكبير بقرطبة وذون مرتين فندور استبة اكرمكم الله بتقواه ان مقامنا الكريم يعقد ويجدد معكم صلحا صحيحا ومحبة ثابتة خالصة لهذه من عشرة اعوام اعجمية متوالية يكون اولها اول يوم من شهر ينير الاعجمي مفتتح عام اثنين وسبعين واربعمائة والف لتاريخ المسيح ويكون تمامها آخر يوم من شهر دجنبر الاعجمي عام احد وثمانين واربعمائة والف لتاريخ المسيح المذكور على ان نكون احباب احبابكم واعداء اعدائكم وان نعينكم في جميع الامور التي تحتاجون اليها في وطنكم بقدر جهدنا على جميع اعدائكم من اى صنف كانوا للمدة التي تريدونها وفي الوقت الذى تعرفونا بحاجتكم في الاعانة او توجهوا رسولكم في طلب ذلك نعينكم بقدر جهدنا، وكذلك نعرفكم ايها الفرسان المكرمون بجميع مانعلمه أو نتعرفه من سر أو غيره مما لا يكمل لحرمتكم نعرفكم بذلك سريعا مع رسول صادق معروف لاجل ان تجعلوا خلاصا في أرضكم قبل وقوع الفساد، واذا تميز ضرراً لجهتكم نجتهد في تبعيده عنكم، وان ميزنا فائدة أو مصلحة لجهتكم نجتهد في تقريبها لكم، ونحفظ المودة والصحبة المنعقدة بيننا وبينكم في الاقوال والافعال،

واعلموا أيها الفرسان المكرمون المذكورون أن أولادنا الامراء أسعدهم الله يحفظون لكم هذا الصلح وهذه المحبة والصحبة مثلما نحفظها نحن بخاصة مقامنا الكريم فانكم من أجل أحبابنا الاوفياء، وأصدقائنا الاصفياء، ومن أهل رأينا الكبراء، فجانبكم عندنا محفوظ ومحبتكم صحبة ثابتة، لا نشك في صدق محبتكم ولا في خلوص مودتكم، ونحن نعاهدكم على صحة جميع ما ذكرنا

لكم ونحالفكم بالله الواحد الحق على أن كل ما ذكرنا لكم نوفي به ونحفظه ونحرزه بالقدر والوفاء فى كل وقت من غير غدر ومن غير خداع . ولأجل أن يكون هذا العقد صحيحا وثابتا ختمناه بعلامتنا السعيدة الصادرة من يدنا الكريمة وجعلنا عليها طابعنا العزيز المعهود عن مقامنا الكريم . فى أوائل رجب الفرد المبارك عام ستة وسبعين وثمانمائة عرف الله بحكمته . صح هذا ؟

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . من عبد الله أمير المسلمين علي الغالب بالله ابن مولانا أمير المسلمين أبي النصر ابن الامير المقدس أبي الحسن ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، أيده الله بنصره، وأمده بيسره، إلى الفارس المكرم الزعيم الحسيب المشكور الاوفى دون دياقه هرندس ذي قرطبة قند قبره بن قند حصن أشر صاحب بيانه وقائد البلمة أكرمه الله بتقواه وأسعده بهداه

سلام يراجع سلامكم كثيرا أثيرا كتبناه اليكم من الحمراء العلية بغرناطة حرسها الله عن الخير والعافية والحمد لله والى هذا فاعلموا أيها الفارس المكرم والقند المرفع انه وصلنا كتابكم صحبة القائد جوان ينادة واستوفينا ما ذكرتم فيه وأمرنا وزير مقامنا الكريم أسعده الله أن يتحدث معه ويقرر

له تصد مقامنا العلي أعلاه الله حسبما يخبركم به وما ذكرتموه عن وجهتكم وسفركم لسلطان تمشتالة صديقنا أكرمه الله بتقواه فاذ مصالحتكم في ذلك فتتوجهوا ان شاء (الله) بالسلامة واعلموا أيها القند المرفع أن حبيبنا ولدكم المرشكل أكرمه الله بتقواه وأرضكم تكون منا ببال وما يعملهم الا مايرضيهم والذي وقع ما وقع الا بأسباب يقررها لكم المذكور ولا نشك ان فرساننا اخطأوا في بعض ما نضر ولاكن محبتكم عندنا معلومة فلا تشكوا في ذلك ولا تعتقدوا خلافه ، ويريد منكم ان توصوا اهل القلمة ان لا يخرجوا عن الواجب وكل مالكم من الحوائج نعمل فيها ما يرضيكم ، والله يعمل كرامتكم بتقواه

كتب في الرابع والعشرين من الربيع الاول عام ثمانين وثمني مايه ،

صح هذا

Adresse au verso :

الفارس المكرم الزعيم الحسيب الاوفى

ذون دياقه هرندس ذى قرطبة قند قبره

بن قندحصن أشرصاحب بيانه وقائدالقلمة

أكرمه الله بتقواه

٤

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله امير المسلمين علي الغالب بالله ابن مولانا امير المسلمين ابي النصر ابن الامير المقدس ابي الحسن ابن امير المسلمين ابي الحجاج ابن امير المسلمين ابي عبد الله ابن امير المسلمين ابي الحجاج ابن امير المسلمين أبي الوليد بن نصر أيده الله بنصره وأمده بيسره الى الفارسين المكرمين الزعيمين المشكورين الوفيين الاحبين ذوق دياقه هرندس المرشكال بقشتالة ومرتين المنشه ذي منتميور صاحب القبذيق أكرمهما الله بتقواه ووفقهما بهداه سلام يراجع سلامكم كثيرا أثيرا كتبناه اليكم من الحمراء العلية بغرناطة حرسها الله عن الخير والعافية والحمد لله والى هذا فاعلموا أيها الفرسان المكرمون انه وصلنا كتابكم واستوفينا ماذكرتم فيه فشكرنا قصدكم ومحبتكم والامان الذي طلبتموه يصلكم كرامة لكم وقد أمرنا وزير مقامنا العلي أسعده الله بكتب لكم بالفا حسبما يصلكم فاعلموا هذا وكل ما لكم من الحوائج نعمل فيها ما يرضيكم والله يصل كرامتكم بتقواه وكتب في الرابع عشر لجمادى الآخر عام ثمانين وثمنمايه، صح هذا ؟

adresse au verso :

الفارسان المكرمان الزعيمان

ذوق دياقه هرندس المرشكال ومرتين المنشه

ذي منتميور صاحب القبذيق أكرمهما الله بتقواه

التعريف بكتاب

أخبار العصر » في انقضاء دولة بني نصر

والمراسيم الاربعة التي تليه

بينما نحن في تجديد طبع هذا الكتاب « آخر بني سراج » مع ذيله في أخبار الاندلس لاسيما حادثة سقوط غرناطة اذ ظفرنا بنسخة من كتاب « أخبار العصر في أخبار دولة بني نصر » مطبوع بمدينة منيخ عاصمة بافارية سنة ١٨٦٣ وقد عني بطبعها وتعليق بعض حواش عليها ونشر ترجمة ألمانية للاصل العربي في آخرها مستشرق يقال له « مارك يوس مولر » ولم يرد في هذه النسخة اسم مؤلف الكتاب . فآثرنا ضم هذا التأليف أيضاً الى آخر بني سراج وذلك لما يأتي :

أولا لان جل غايتنا من البداية هو التنقيب والاحفاء في قصص آثار العرب الاخيرة في ديار الاندلس

ثانياً لكون الكتب العربية المصنفة في هذا الموضوع نزراً جداً كما أشرنا اليه في مقدمة الذيل وكما قال المستشرق مولر المار الذكر في المقدمة الوجيزة الالمانية التي صدر بها طبعة « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » المذكورة فانه قال : انه في العربية لا يوجد الا منابع قليلة جداً لاخبار مصيبة مسلمي غرناطة وان خلاصة المقري (صاحب نفح الطيب) في هذا الصدد واضحة النقص والآن عندنا خلاصة اخرى مخطوطة وجدت في قصر الاسكوريال (الشهير الواقع على مسافة ٥٠ ميلوا متراً من مجريط أو مدريد) ولم يرد ذكرها في فهرست « كزيري »

ثالثاً لان صاحب هذا التاريخ كان معاصراً للكائنة الاندلسية الاليمة فقد جاء في آخر الكتاب انه نجز يوم الخميس ٢٤ من جمادى الثانية من عام ٨٩٧ ويظهر من روح الكتابة انها كتابة رجل معاصر ويلوح لي أن المقري أخذ عنا وقد أشار المستشرق مولر في صدر الطبعة الى انه مع كل ما هو عليه هذا المخطوط من الوجازة فلا تخلو مطالعته من الفائدة لانه نص شاهد عيان كان في الحادثة بنفسه وروى أخبار بسالة بني جلدته وسياسة الخيانة والغدر التي سار عليها ملوك الاسبان رواية من يعض على الانامل

ولاكمال الفائدة ألحقنا « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » بمجموعة صغيرة تحتوي على أربعة مراسيم سلطانية صادرة عن أبي الحسن علي بن أبي النصر بن أبي الاحمر الى بعض فرسان الاسبانيول [illegible] وهذه قد وقعت لنا مطبوعة بباريز سنة ١٨٦٣ بعناية المسيو [illegible] وعنوانها (أربعة كتب مرسلة من أبي الحسن [illegible] آخر ملوك غرناطة) محررة بين سنتي ١٤٧٠ و١٤٧٥ ولقد [illegible] ترجمتها [illegible] بقلم المسيو ديرنبورغ المذكور مع مقدمة قيمة وحواش [illegible] بالقدر استشهاده في عدة مواضع بالمستشرق الالماني [illegible] كتاب (أخبار العصر) الذي طبعه بمونيخ سنة ١٨٦٣ [illegible] المذكور نقل من المخطوط سنة ١٧٥٨ من الاسكوريال [illegible] تاريخه سنة ٩٨٦ للهجرة (١٤٩١) في وصف الحالة [illegible] غرناطة في أفريقية ومنها تحقيقه أن الامير محمد [illegible] مدفون بتلمسان

ومنها قوله إن ملوك غرناطة [illegible] بأمير المسلمين اقتفاء لاثر يوسف بن تاشفين [illegible] عن لقب أمير المؤمنين) [illegible] وأبا الحسن علياً بن الاحمر كان [illegible] وسلطنة بني الاحمر كما هو مكتوب على جدران الحمراء [illegible] بغرناطة هو « لا غالب إلا الله » وانه يوجد في مخدع المسكوكات بباريس قطعة كبيرة من الفضة على شكل دائرة في وسطها مربع مكتوب فيه هذا (عبد الله الغالب بالله علي ابن سعد بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر أيده الله ونصره وفي أحد جوانب الدائرة مكتوب (لا غالب الا الله) ومن الوجه الآخر دائرة أيضا فيها مربع في ضمنه آية من القرآن وعلى جوانب الدائرة (طبع بمدينة غرناطة حرسها الله)

شكيب ارسلان

﴿تمت الرواية وذيلها والحمد لله﴾